

أغاريد.. المسلم الصغير

معالجة طيبة تستهدف تغطية الخبرة الإسلامية.



أغنائي الشاعر حكمت صالح،
نفسه، في مقدمته الخصبية،
عن تناول أدب الأطفال في
إطاره الإسلامي، والإيماني
عموما.. عن ضروراته
وتشكله عبر العقود الأخيرة..
والمعطيات الدراسية والإبداعية
والتنظيمية التي رافقته وغذته،
وهي للأسف شحيحة لا
تتجاوز، كما ينقل الشاعر عن
الدكتور عبدالباسط بدر «ثلاثة
كتب، وثلاثة بحوث، وسبع
عشرة مقالة»!!
كما أغنائي عن متابعة «قصة»
هذه المجموعة ذات الأربعة
عشر نشيدا وقصيدة. فلأدخل
- إذن - إلى نسيج هذه
الأناشيد للتأشير على بعض
ما تريد أن تقوله.



بقلم: د. عماد الدين خليل

من مد الأرض وزين بالنجم سماه؟
فاجاب فؤادي قبلهما: الله.. الله..
قل في السر ما أروعه
قل في الجهر من أبدعه
يا أماه.. يا أبتاه
الله.. الله.. الله.. الله..

في الأناشيد الثمانية يلحظ القارئ تدرجاً في المعالجة، يستهدف تغطية الموضوعات الأساسية للخبرة الإسلامية: الله (جل في علاه).. القرآن الكريم.. النبي الأكرم ﷺ.. أصحاب الجنة (وكان يمكن أن يقتصر العنوان على الجنة، لتجاوز اللبس مع قصة قرآنية معروفة في هذا السياق، ولإعطاء قضاء أوسع يتناسب مع نعيم الجنة، الذي يتحدث عنه النشيد.. ثم خالد بن الوليد كنموذج للبطولة الإسلامية، التي تنطوي على جمالياتها الخاصة لدى الطفل المسلم.. وهناك أيضاً ثلاثة أناشيد أخرى عن (الطفل المؤمن) والأقمار المعلقة في السماء الدنيا.. والعديد..

قد تكون هناك حاجة، بعد نشيد النبي الأكرم ﷺ، لمقطوعة أخرى تنشد للإسلام، لكي تكتمل الصورة.. وعلى أية حال فإن هذه الأناشيد، التي تعد بمحاولات أخرى إن شاء الله، تكفي في ديوان كهذا، لتحقيق وظيفتها الفنية في الخطاب الشعري، الذي يعنى بالطفل.

أما القصائد فتحكي إحداها عن القمر، وتقدم ثانياتها حوارية الأمومة والطفولة في ظلال الإيمان.. وترسم الثالثة والرابعة، بريشة الكلمة: حنين الطفولة وأمانيتها.. وتختتم القصائد بانطباعات الأبوة على عيون الأطفال.. وهي - جميعاً - كما يلحظ القارئ، تكمل الصورة، وتعمق ملامحها، وتخفي الخطاب الشعري الذي يمضي للتعامل الجميل المؤثر مع الأطفال، حاملاً إليهم كل ما هو بريء، مؤمن، وضيء، في هذا العالم، مما أراد هذا الدين أن يمنحه الطفل وهو يدرج في العالم تحت مظلة الله، لكي ما يلبث أن يستوي على سوقه فيعجب الزراع ويغيب الكفار..

والشاعر، مرة أخرى، يقطع الطريق على أية محاولة للتقدم، تستهدف التأثير على المضامين الأساسية للديوان، وذلك من خلال (تحديده) للسياقات الأساسية، التي تتحرك في إطارها المضامين.. فهناك:

أولاً: التأكيد على إبداعية الخالق تبارك وتعالى في الخلق، من خلال منظورنا الكوني.

ثانياً: التوحيد في مواجهة الصنمية، وحضارة التكاثر بالأشياء أو تأليه الإنسان.

ثالثاً: تأصيل الإيمان بالعالم الآخر، وتحبيب الجنة وأجوائها إلى الطفل المسلم، وذلك بالاستفادة من التصوير القرآني لها.

رابعاً: تمجيد البطولة الإسلامية من خلال الرمز التاريخي. ويتساءل المرء بعد هذا كله: ما هي الملامح الفنية لأغاريد المسلم الصغير هذه؟ قد تكون الأناشيد حلقة فنية أكثر «وضوحاً» في التعبير عن هذه الملامح ولهذا سينصب عليها الحديث.

لنقرأ معاً المقطع الأول من النشيد الأول: الله!

«قلت لأبي يا أبتاه

قلت لأمي يا أماه

كون أجمل ما فيه إتيان بناء

البحر المناسب.. والتفعيلات السريعة المترعة بالدهشة.. والقافية الموظفة بعناية.. وتتويج هذا كله بتكرار كلمة الله في ختام المقطع أربع مرات، بما يؤكد بؤرة الاستقطاب في النشيد كله، في حس الطفل المسلم ويحفزها عميقاً في وجدانه، لكي ما تلبث أن تبقى هناك إلى الأبد.

المعاني واضحة تماماً لا إغماض فيها ولا التواء، فهي - من ثم - تحمل صدقها الفني من حيث إنها تتوجه بالخطاب إلى الأطفال، لكن هذا لن يكون - أبداً - على حساب السوية الشعرية.. والشاعر لا يجره «المناخ الشعري» إلى الضحالة والمباشرة - وإن كان انزلاق كهذا يحدث بين الحين والحين، ولكنه لا يعدو أن يكون بقعا محدودة - فهو من خلال تمرسه الطويل في الخبرة، يعرف كيف يتحقق بالمعادلة الصعبة بين البساطة العذبة وبين المطالب الفنية للنشيد، محاولاً الاستعانة بين الحين والحين بالصورة الشعرية التي هي هنا أكثر لزوماً، لأنها تعين على تجسيد المعاني، والمجردات، وتوصيلها إلى وجدان الطفل بقوة التخيل الحسي.

والمفردات التي ينسج منها الشاعر صوره تلك كثيرة، متنوعة، تستمد مقوماتها من دنيا النبات حيناً والحيوان حيناً آخر، ومن الطبيعة والأرض والجبال، والأنهار والبحار، والشلالات والعيون، والسدم والنجوم والسموات، حيناً ثالثاً.. فليس ثمة ما هو ألصق بالطفولة من مراثيات الطبيعة المشهودة والعالم المنظور، بكل ما تنطوي عليه من قيم جمالية، تتدرج في البوح عن مكنوناتها عبر مستويات شتى ما بين الطفل، والفنان، والمفكر، والرياضي، والفيلسوف.. ويبقى - ثمة - للطفولة الهامش الأكثر اتساعاً وشفافية وإثارة وبراعة. فكأن بين موجودات العالم والطبيعة، وبين الطفولة لغة ما، تعرف كيف تجعلهما يتحاوران معاً. بإلفة ودهشة وإعجاب وتناغم وعفوية، قد تستعصي على الكثيرين بحكم الإلف والخبرة والاعتقاد.

ليس هذا فحسب، بل إن هناك، في قاموس الإيمان، ما هو أكثر أهمية: إن هذه المفردات - بالذات - فهي من بين حشود المعطيات الأخرى، أكثر الطرق قرباً من الله.. بمعنى أنها تصل بين الحس الإيماني، وبين خالق الملكوت، وفق أشد الصيغ فاعلية وإقناعاً وقدرة على الخطاب.

وهذه مسألة معروفة، بل هي من بدايات الخلق.. ولكن الإلف والاعتقاد - كرة أخرى - مارسا نوعاً من التغرب والتغيب بين لغتها المدهشة وبين الإنسان، ولذا نجد كتاب الله يعود المرة تلو المرة لكي ينفخ النار في لغة العالم والطبيعة والوجود، كي تشتعل مرة أخرى، فتفصح وهي تتألق باللهب،

■ ■ تفاصيل الإيمان بالعالم الآخر وتبويب الجنة للأطفال

■ ■ الشاعر يقول في كلمات فلائيل ما تحكيه عشرات الكتب

طبعاً، هنالك أناشيد قد لا يسمح المجال الذي تتحرك فيه باستدعاء الشاهد الجمالي من الطبيعة، وهنا قد يلجأ الشاعر إلى أدوات فنية أخرى كي لا يتمحض النشيد «للمعنى» وحده، فيتعثر وصوله إلى الأطفال، أو تبهت شحناته المؤثرة في وجدانهم.

إننا نجده - حيناً - يحشد أسماء السور القرآنية، لكي يقدمها للأطفال في نشيد (كتاب الله) في عرض موسيقي جميل:

«لنا (الإسراء) و(الرحمن) لنا (الشعراء) و(الفرقان)
لنا (الصفافات) .. و(الأحقاف)
لنا (الحجرات) و(الأعراف)
لنا (الأحزاب) و(الزُّمُر)
لنا (التكوير) و(القمر)
لنا (النصر) لنا (القدر) لنا (الدهر) لنا (الحشر) ...»

ونتذكر - ها هنا - قصيدة (أطلس التوحيد) في ديوان (حيّ على الفلاح) وكيف أن صاحبنا استطاع أن يوظف فيها حشود (الأعلام) الجغرافية، فيجعلها، على صعوبة نطقها أحياناً، سلسلة على الألسن وفي الأفواه، بقوة الأداء الشعري، ويمكنها - في الوقت نفسه - من أن تقول ما يريد هو أن يقوله من أن بلدان عالم الإسلام من المحيط إلى المحيط.. مواقعه.. قراه.. مدائنه.. عواصمه.. جباله.. سهوله.. غاباته.. وشلالاته.. إنما هي أصوات متنوعة تنبض بشيء واحد، وتحمل هما واحداً، وتعبر عن عالم ذي حيثيات متفردة، هو عالم الإسلام هذا بكل أقوامه وشعوبه وجماعاته.. إن جغرافية عالم الإسلام، وظفت في تلك القصيدة، ربما للمرة الأولى، فيما لم يستطع شاعر آخر أن ينفذه بهذا القدر من الإلمام والإحكام الفني في الوقت نفسه.

في نشيد (النبي الأكرم) ﷺ نجد شيئاً آخر قد يدهش الأطفال ويثير إعجابهم، لأنه يعرف كيف يعتمد التقطيع الحر في الذي يتعلمون - في مدارسهم - من خلاله لغة الضاد:

«اكتب اسم نبيي الأكرم

صلى الله عليه وسلم

ميم.. حاء.. ميم.. دال

اسم تكتبه الأجيال

.....

ميم.. حاء.. ميم.. دال

يشدو القلب بصوت عال

لحمدنا فنشد: هيا..

نضرب للمجد الأمثال»

عما يريد الكون أن يقوله، وهو يتحدث عن إبداعية الله سبحانه في خلقه..

والحديث في هذه الظاهرة يطول.. ولن يتسع تقديم موجز كهذا لتفصيل القول فيه.. والمهم أن الأغاريذ التي بين أيدينا، تعرف كيف تتعامل مع الظاهرة، فتجعل الصورة الشعرية، وبكثافة ملحوظة، فرصة فنية مناسبة لتحقيق المطلوب.

فبمجرد أن نعبّر المقطع الأول من النشيد الأول: (الله) نجد أنفسنا قبالة هذا الدفق من الموجودات، التي يصوغ بها الشاعر صورته، فيهدد بها شوق الطفولة، وحلمها، ودهشتها البكر التي لا تكف عن الخفقان..

«الخضرة عرس.. زف الأمواه

يستهو النفس يا ما أحلاه!

أطيار الروض تسبح باسمك في الفجر

وسواقي النبع يرققها حلو الذكر..

وجنان الله مطوقة بشذا العطر

وإذا البلبل باسمك غرد..

فغصون الفل.. تركع.. تسجد

يا أماء.. يا أبتاه

الله.. الله.. الله.. الله..

يغادر الشاعر، بين لحظة وأخرى، ومن أجل التنويع الفني، تشبثه بالصورة الحسية، فيرجع إلى المعاني والتجريدات، ولكن بالمستوى الذي لا يستعصي على وجدان الطفولة، وقدراتها العقلية.. ثم ما يلبث أن يرجع، مرة ومرتين وثلاثاً، إلى التخيل والتجسيد، ورسم الصورة فرصة لإعانة الطفل على متابعة المعاني، أو - بعبارة أخرى - تمكين هذه من الوصول إلى الطفل.. وسط مهرجانات من الأصوات والروائع والألوان التي تفخم الحس وتقرب من المطلوب:

«أعراس الرحمن ملونة أقزاحا

نور يتدفق من قرص الشمس صباحا

ويطرز باسم الله الأفاق وشاحا..»

وهناك - دائماً - في تركيب الأناشيد تلك الإلفة الكونية بين الطفولة والموجودات، تضعها قبالة الخالق سبحانه، وهي تخفق بالشكر والمحبة وتسبح باسم الله:

«ومعي النحل يتهدد

ومعي النمل يتعبد

أهناك إله من دون الله؟!

الله.. الله.. الله.. الله..

«إن نام الناس ففي سهرري
تسكنني البهجة والفرح
أتأمل في صمت: قـدري
فيلون إحساسـي قـزح»
وفي مقطع آخر نتلقى القناعة، بقوة المنظور الذي يتشكل
قبالتنا صباح مساء، بأن هناك يدا مدبرة قديرة فاعلة حاضرة
هي يد الله سبحانه:

«ما بين المغرب والفجر
من علقـها في الأفلاك؟
من يهديها الدرب فتجري
تمضي طول الليل هناك؟»
ومرة أخرى نجدنا قبالة مقطع لا يتجاوز البيتين، لكنه
بتركيزه الشعري، بعفويته وسلاسته المؤثرة، وباستمداده من
الحس الإيماني العميق، يمكن أن يجري مجرى الأمثال:
«من جـاوة حتى غرناطة
كل بلاد الله بلادي
وطن إن نوع أنماطه
يتوحد بالأمجاد»

وما يلبث النشيد أن ينتهي من حيث بدأ بالمأثور الشعبي
نفسه، وبالحركة الجماعية ذات الإيقاع الواحد، والتي تذكرنا
بالعديد من قصائد (على عتبات الجنة السمراء)، ولنتذكر
أيضا مناخ الطفولة والبراءة هناك، في أعماق أفريقيا التي
تحقق فيها قصائد الديوان المذكور. وهذا كله يمنح الديوان
الذي بين أيدينا - ولا ريب - مزيدا من الحيوية والصدق.
لكن ها هنا يدخل الشاعر نفسه لكي يلعب مع الأطفال، ويدور
معهم مرددا:

«حادي بادي
يوم الجمعة
هات مرادي
غنوا معنا يا أولادي»

ونتذكر كيف أنه، في الإسلام، كان رسول الله نفسه
(عليه أفضل الصلاة والسلام) يلعب مع الصبيان، وينافسهم
في الجري.. ويسمح لحفيديه الحسن والحسين، بأن يتسلفا
كتفه الشريفة وهو يصلي، فيتركهما على هواهما، لا يزرهما
أو ينههما!
فإن قاموس الطفولة.. وبراءتها تجعلانه يستعذب عبث
الصغار.



وتلفت الانتباه ها هنا كلمة «لمحمدنا» بضمير الجمع
المضاف إلى اسم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.. وهذا
يجعل الأطفال يتلقون إحساسا فريدا مترعا بالاعتزاز، بأن
النبي هو نبيهم، وأن محمدا ﷺ هو محمدهم.. وهذا هو
المطلوب في نشيد كهذا..

ثمة معنى آخر لا يقل أهمية يرسمه الشاعر بهذين البيتين:
«ميم.. حاء.. ميم.. دال
الحق، وما بعد الحق ضلال
لا يجمع من كان تقيا..
ما بين حرام وحلال»

فيوجز بكلمات قلائل ما تقوله الكتب والبحوث في
عشرات الصفحات، وتمنحه الأطفال بصيغة مقولة مؤثرة، قد
تجري مجرى الأمثال..

في نشيد (خالد بن الوليد) تأكيد على قيم البطولة (سوف
يكتب الشاعر فيما بعد، رباعيات، يرسم من خلالها حشودا
من النماذج البشرية، التي يحاول بواسطتها أن يقدم البطولة
الإسلامية في مستوياتها المختلفة). والذي يهمنا هنا هو
الضمير الذي يبدأ به النشيد:
«جدنا خالد جدنا ابن الوليد»

وهذا يمنح الأطفال مزيدا من الاعتزاز بهذا القائد
الصدق.. «جدهم». وقد يؤخذ على هذا النشيد هبوط نبضه
الشعري، ونزوعه إلى التقريرية بين لحظة وأخرى.. ومع ذلك
فثمة ما قد يبرر هذا في طبيعة الموضوع، والطرف المتلقي،
وهو هنا حشود الأطفال، التي تجد في «البطولة» مبتغاها،
وتشبع في أنفسها أكثر من حاجة.

■ ■ ■

يمضي القارئ مع بقية الأناشيد، لكي ما يلبث أن يجد في
(حادي بادي) واحدا من أكثرها عذوبة وصدقا فنيا.
يبدأ النشيد بمطلع مأثورة شعبية يرددها أطفال الموصل،
ومدن عربية أخرى، في ألعابهم.. ثم ما لبث أن نستمع إلى
طفلة الشاعر (أقمار) تسأله:

.....
يا أيتي هل تكتب شعرا؟
عن أقمار فوق سحابه
تسجد لله معي شكرا»
ونسمعها تقول وهي تلعب مع أصحابها:
«اسمي أقمار يا صـحبي
أحلم أن جنـاحي طـال
جـسـرا يمتد إلى القطب
يتجاوز أفق الأجيال»
بعدها.. تتدفق الأبيات مترعة بالصور المرسومة بعناية،
مسخرة مفردات الوجود، منطقة إياها بالتسبيح بحمد الله..
وسط مهرجان محمل بالبهجة والفرح والجمال:



قصص

قصيرة

بدا

١ نعد هذا الأسباب..

أخفى السكينَ الجزارُ، فأُنسِتَ به الخرفان واطمأنت إليه.. أخذت تتقافز حوله فرحا.. تتمسح به ولاءً وتلقا، خاصة وهو يطعمها العلف من يديه.. نسيتُ الخرفان السكين.. ونسيتُ كلَّ الجزارين السابقين.. لم تعد ترى إلا هذا الجزار الرحيم، ذا الابتسامة المشعة من أسنانه الذهبية.. نصحها كبيرها الذي أنقذ من الذبح مرات للباقة أو لحاجة الجزارين إليه.. سخرت الخرفان من كبيرها.. انصرفت عنه.. اتهموه بالتخريف.. أثر الكبير الصمت.. انزوى في ركن يجتر طعامه في هدوء وهو يرقب الخرفان في حزن وهي تتناقص واحدا واحدا.. الخرفان تتلهى بالعلف الوفير، ولكن يفكرون.. يخمنون.. لم يتوصلوا إلى السبب.. الخرفان تتناقص.. الكبير يأكله الحزن.. يهمس: ليس المهم اختفاء السكين.. المهم اختفاء الجزار.. لم تستوعب الخرفان كلمات الكبير.. و.. أعدادها تتناقص تتناقص

٢ وصلح الديك

انهَدَ الجسدُ المجهد من الألم النابش في الدماغ من صياح ديوك القرية على رأس الفجر كل ليلة.. ينتفخ العمدة غيظا ويشق صراخه صمت الليل آمرا بذبحها جميعا حتى التي في بيته، ويخيم الهدوء لينعم بدفء النوم، ويظن أن الأمر قد استتب له.. ولكن ما لبث أن شق الليل صوت ديوك.. أكله القلق.. أخذ يفكر في حل ليقضي عليها تماما.. هبطت عليه فكرة، قرر تنفيذها فوراً.. نادى الخفراء وأمرهم بذبح كل دجاجات القرية، وجمع كل البيض من البيوت والأسواق وإعدامه.. أحس بالنصر والزهو لنجاح فكرته، وراح يفتخر بين زملائه العمد في المنطقة، لاستتباب الهدوء في القرية، وتمر الأيام والليالي.. وذات ليلة في الموعد نفسه هب من نومه فزعاً على صوت ديك يزلزله.. صاح في الخفر أن يفتشوا بيوت القرية بيتاً بيتاً في هذه الساعة؛ ليحضروا هذا الديك وصاحبه.. عاد الخفراء وقد أرهقهم البحث والفشل في مهمتهم.. صاح العمدة

في غيظ: اقلبوا القرية رأساً على عقب.. لا تعودوا إلا والديك وصاحبه معكم.. ينصرف الخفراء وعلى شفاههم ابتسامة مخنوقة.. ويتأسفون لحال عمدتهم!!

٣ غثيان

بشعا كان في حديثه، مثل وجهه الشيطاني الذي بدا عندما سقط القناع.. أرعدني لسانه الثعباني.. وعينه الحجريتان.. وددت أن أجتز لسانه الثعباني.. نصحته.. انتصبت حماقته جيلاً.. الوجه الشيطاني ينتفخ وينتفخ.. اللسان الثعباني يطول ويطول.. يتشقق ألف لسان.. تقلصت أمعائي.. تجشأت مراراً.. انتفضت واقفاً.. جسدي يترنح.. استجرت بحائط قريب.. تقيأت.. كان القيء أسود.. أخذت طريقي.. استوقفتني إعلان على الحائط.. يشارك الأديب (..) لا.. لا الثعبان في ندوة عن الكلمة والأخلاق.. تقيأت.. تناثر القيء الأسود على الحائط.. شعرت بشيء من الراحة.. أخذت طريقي.. الوجه الشيطاني يتلاشى بعيداً.. بعيداً..



بقلم:

إبراهيم

سعدان

هاتف

من سرير أبيض

لولا ملامحُ لي قديمًا عشتُّها
ما كنتُ أعْرِفُ أينَ حلَّ بنائي؟!

ضُمِّي إليك ملامحي ومعالي
ودفاتري اللائي وعَتَّ أَسْمائي
إني نَسِيتُ صحائفِي ومحابري
وأرَقْتُ ذاكَ رَتِي على أدوائِي!
أُمسي على أَلَمٍ وأصْبَحُ راجيًّا
أَنْ أَسْتَرِيحَ فَمَا يُفِيدُ رجائي!
فكأنَّ ذَنْبَ الْعَالَمِينَ جَرِمتِي
وكانَ أَلَمًا أخطأوهُمُ أخطائي!!

يا هذه السَّلوى تُخاطِبُنِي على
بُعْدٍ، وإني عن جِوارِكِ ناءٍ
أدري ولا تدرينَ ما قَدْ حاقَ بي
وأَمْضُنِي، واسْتَلَّ أَمْنٌ فضاءِي!
قد زَلَزَلَ الأرضَ القَريرةَ جِائِرًا
في صحوةٍ، وأَغَامَ صَحْوَ سَمائي
واغْتَالَ من شَفَتِي رِواءَ قَصيدةٍ
بَكَرٍ - تَلَمَّ حُرُوفُهَا - خَضراءِ

مالي أرى الدُّنيا كأجنحة القطا
قد قُصِّصَتْ في حَفْلةٍ نَخراءٍ!
والأفقُ من حِوَالِي خيالٍ هارِبٍ
مُتَرَنَّجٍ في بَرْدَةٍ شَوْهَاءٍ!
وأنا - ولم أَرْنِي، ولم أَكْ غائبًا
بين الحُشودِ - مُسَرَّبِلٌ بدمائي
بُدَلْتُ أَثوابَ الْحَجِيجِ جَبائِرًا
وثرى مِنِّي بملاءةٍ بِيضاءٍ!

رُدِّي إليَّ مَعازِفِي وندائي
وتَسَمَّعِي - رَغَمَ النُّوى - أَصْدائي
ما شئتُ أَنْ أَهْدِي إليك قِصائِدِي
مَكْلُوبَةَ الْأَشْـوَاقِ. والإهداءِ!
أو شئتُ أَنْ أَدْنِي إليك قِوافِلِي
جَرَحِي الطَّرِيقَ تَخَبُّبُ في إعياءِ
تَكَلَّى الْغِنَاءِ تَخْوِضُ في رَهَجِ الْأَسِي
حُلْمًا غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْأَسْمَاءِ!!
جَيْشُ الدُّخَانِ يَنْوُشُنِي وَيَسُومُنِي
سَجَنِي الطَّرِيدَ مُشَرَّدَ الْأَرْجَاءِ!
لا الرِّيحُ سَأَلَتْ المِصَابِيحَ الَّتِي
أَشْـعَلَتْهُنَّ، ولا الظَّلَامُ يُرَائِي
لا هَادِنَ الشَّجْنِ الْعَصِيَّ مَدَامَعِي
رَفَقًا، ولا رَحِمَ الْأَنْيُنِ دُعَائِي!
ما تلكَ؟ لا أدري عَذَابَ مَدِينَتِي
أَمْ أَمَّةُ الْأَحْزَانِ صَرْنِ رَدَائِي؟
يا لَحْظَةً مَخَرَتْ سِرَادِيْبَ الضَّنَى
في غَفْلةٍ من أَعْيُنِ الْآنَاءِ!
شَقَّتْ سِتَارَ غُيُوبِهَا مَجْنُونَةً
تُصَمِّي قُودًا الْحَلِيمِ وَالْأَشْيَاءِ
غَدْرًا ولا أدري: أَكُنْتُ حَيَالِهَا
نَفْسِي، أَمْ الشَّيْءَ الْمَحْمَلَّ رَائِي؟
وَجَعُ يُسَاكِبْنِيهِ قَرَحٌ عَاصِفٌ
كَجَنُودِ نَارٍ وَكَلَّتْ بِيْلَائِي!
أَنَا الَّذِي قَدْ رَتَقْتُ أَعْضَاءَهُ
فَوَسَعَتْ أَلَامَ الْمَدَى الْمُتَنَائِي؟
أَمْ أَنْ شَيْئًا آخِرًا زَرَعُوهُ فِي
جَسَدِي الضَّعِيفِ يَتْنُ كُلَّ مَسَاءٍ؟
أَلَمْ يُفَرِّقْنِي حَصَادَ مُغَايِرٍ
وَأَبَيْتُ أَجْمَعَ كُرْبِيَّةَ الْأَعْضَاءِ!

شعر / د. أمين سالم



في غربة.. تَقَسُّوْ على الغرباء!
حتى رزقتُ الخلقَ رُوحاً صادقاً
ألمي، وأزكتُ بي مئى الأحياء
من أينَ قد هُرِّعُوا قلوباً رفرقتُ
حولي نسيماً عاطراً الأفياء؟
لا يفتوونَ يرشرونَ جوانحي
أملأً بهيجَ السرِّ والسرِّاء!
حملوا إليَّ رجاءَهُم نَعْويدةً
نَبْـوِيَّةَ الإيماءِ والإيحاءِ!

الله - ما حنَّتُ حُرُوفي، أو شدتُ -
في فتية بذلوا بلا استدعاء!
صدروا عن النبلِ التقي سجيّة
فسعى بخطواهم رسول وفاء
وزكوا كما النهرُ الكريمُ سماحةً
وصفتُ خوالجهم كعذب الماء
ما لونُ بعضهم - ولا لغتي لهم
لكن رباطُ ديانة .. وإخاء!
ما كنتُ أزعمُ أنني في معشر
تهدى مروءتهم بلا استهداء
أو كنتُ أحسبُ أنني يوماً أرى
بعض الملائك حلَّ في بيدائي!!

يا زوجتي يا أم أولادي التي
صادقتُ فيها ملجئي، ونجائي!
ضمي أحيببتي إليك وراقبي..
يوماً أعودُ من الشَّتات النائي
ومتى أعودُ؟ وكيف؟ ربتُ نازح
عان.. قضى المولى له بقاء!

«لبّيك» في قلبي هُتافٌ هادرٌ
قد قلتها دمعا مع النُّزلاء!!
يا ويحَ مثلوجِ الفؤاد يغالهُ
من لا يراه بطعنة رعناء!
غافلتُ أودية الشقاء وجُرَّتْها
وظننتُها ولتَ فكنَ ورائي!!

يا هذه السلوى التي ناجيتها
وأنا سجينُ الخطو .. والإيواء
حاولتُ أن أبدو كيانَ مُجالد
والزُّفرة الحُرَّى تشدُّ بكائي!
وحرصتُ أن أسعى إليك مضاحكا
عبر الأثير مُراوغاً أنبائي!
أخفيتُ نازلتني التي قد قوَّضتُ
رُكني، وعائتُ في مدى أنمائي
أخشى عليك بأن تُراعي ساعةً
أو أن يبيتَ على الأسى أنبائي!
أو أن يمسك طائفٌ من قصتي
فتُساكنين على البعاد شقائي!!

لا تفزعي فالله كان مجاوري
وملاطفي في محنتي.. وعزائي
قد كنتُ أحسبُني غريباً ضائعاً